﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ٤٦﴾

[النجم: 45 - 46]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

بيانُ كَيفيَّةِ ابتداءِ الحياةِ ممَّن أحيا سبحانه

لمّا ذَكَرَ اللّه الإحياءَ بقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ٤٤﴾ [النجم: 44]؛ أتبعهُ بذكر ما يختصُّ به سبحانه ولا ينازعه فيه أحدٌ، وهو تصنيفُ الولد إلى نوعيه ظاهرًا في اختصاصه سبحانه بل وهو في غايةِ التَّعذُّر على من سواه، فقال: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ﴾، ثم ذكرَ ما يظهرُ، وهو الماءُ – ولا بد أنَّه من صنعه – فقال: ﴿مِن نُّطۡفَةٍ﴾[1]، أي: مناسبةُ الانتقالِ إلى هذه الجُملةِ أنَّ فيها كيفيَّةَ ابتداءِ الحياة[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نُّطۡفَةٍ﴾: (نطف) لها أصْلانِ، أحَدُهُما: جِنْسٌ مِنَ الحَلْي، والآخَرُ: نُدوَّةٌ وبَلَلٌ، ثُمَّ يُستعارُ، ويُتَوسَّعُ فيهِ، ومن هذا الآخر: النُّطفَةُ: الماءُ الصّافي، ولَيلَةٌ نَطوفٌ: مَطَرَتْ حَتّى الصَّباح، والنِّطافُ: العَرَقُ، ثُمَّ يُستعارُ هذا، فيُقالُ: النَّطَفُ: التَّلَطُّخُ، ولا يَكادُ يُقالُ إلّا في القَبيح والعَيْب، ويُقالُ: نَطِفَ الشَّيءُ: فسَدَ[3]، والنُّطْفَةُ والنَّطافَةُ: القليلُ مِنَ الماءِ يَبْقى في القِرْبَةِ، وبهِ سُمّي المَنيُّ نُطفةً، ولم تَأْتِ في القُرآنِ الكَريمِ مِن هذا التَّرْكيبِ إلّا كَلِمَةُ (نُطْفَةٍ) بهذا المعنى، وهو المعنى المقصودُ في الآيَةِ[4].

2) ﴿تُمۡنَىٰ﴾: أصل (مني) يَدُلُّ على تَقْديرِ شَيءٍ ونَفاذِ القَضاءِ بهِ، وماءُ الإنسانِ مَنيٌّ، أي: يُقَدَّرُ مِنْهُ خِلْقَتُهُ[5]، فالمَنيُّ: ماءُ الرَّجل،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 75.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 145.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نطف).
(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نطف).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مني).

والمعنى المحوري: توقيتٌ لإمساكِ الباطن ما ينضمُّ عليه، فيخرجُ شيئًا بعد شيء، كالمَنيِّ يخرجُ دفقًا (لا يتوقَّف؛ إذا بدأ، أو لأنَّ خروجه موقوتٌ بداعيه) [1]، ومعنى ﴿تُمْنَىٰ﴾ في الآية: تُدفَقُ، وتُصبُّ في الرحمِ، أو تُخلقُ، أو يقدَّرُ منها الولد[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

اللهُ خالقُ الأزواجِ من الإنسانِ خلقًا بديعًا من نطفة

إنَّه ابتدعَ إنشاءَ الزوجين الذكر والأنثى، وجعلهما زوجين؛ لأنَّ الذَّكرَ زوجُ الأنثى، والأنثى له زوجٌ، فهما زوجان، يكون كلٌّ واحد منهما زوجًا للآخر، خلقَ ذلك من نطفةٍ تُمنى من الرجل والمرأة[3]؛ بأن تُدفَقَ في الرحمِ أو تُخلقَ أو يُقدَّرَ منها الولد[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة العطف بالواو في ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ﴾:

وجوهٌ مختلفةٌ من التَّصرُّف الإلهي في الخلق تشكِّل لوحةً متكاملةً تبرزُ جوانبَ القدرة

عَطَفَ البيانُ الحكيم قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾، على قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝٤٤﴾ [النجم: 44]، بجامعِ أنَّ كلًّا منهما آياتٌ دالَّةٌ على كمالِ قدرة الله تعالى، وانفراده بالعزة العظيمة، وتفضُّله على الخلق بنعمةِ الإحياء، والإماتة وإنشاءِ الزوجين الذكر والأنثى، وجعلهما زوجين، ولكنَّ هذه الآيات المتعاطفة كلها وجوهٌ مختلفةٌ من التصرُّف الإلهي في الخلق، وقد جمعها الواو في نسقٍ واحد، كأنَّها لوحةٌ متكاملةٌ تبرزُ جوانبَ القدرة.

بلاغة التوكيد بـ(أنَّ)، وعود الضمير فيه:

تقريرُ قدرةِ الله على الخلقِ البديع

التوكيدُ بـ(أنَّ) في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾، يفيدُ تقريرَ أنَّ اللهَ هو خالقُ الأزواج من الإنسان خلقًا

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (منى).
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 164، والهرري، حدائق الروح والريحان: 28/ 170.
(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 548.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 164.

بديعًا من نطفةٍ، فيصيرُ إلى خصائص نوعه، وحسبك بنوع الإنسان تفكيرًا أو مقدرةً وعملًا، وهذا في سياق تعداد آيات اللهِ الدالَّة على قدرته، وربوبيته ونعمه.

والضمير في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ﴾ يعودُ إلى الله سبحانه لكون السياق في الآيات يتحدَّثُ عن دلائلِ القدرة الإلهية: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [النجم: 43]، و﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾ [النجم: 44]، والتعبيرُ به دون الاسم الظاهر يربطُ المعاني بسلاسة، ويحفظُ جمالَ الإيقاع دون إطنابٍ مملٍّ، ويمنحُ الكلامَ رهبةً وجلالًا.

دلالة التعبير بالفعل الماضي ﴿خَلَقَ﴾:

مَنْ تحقَّقَ خَلقُه للذكرِ والأنثى أوَّل مـرَّةٍ قـادرٌ عـلى الـنـشـأةِ الآخرة

التعبيرُ بالفعل الماضي في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ﴾ يدلُّ على أنَّ الخلقَ قد وقعَ فعلًا، فهو أمرٌ متحقَّقٌ لا شكَّ فيه، وفيه قطعٌ للجدالِ والشَّكِّ، فكون الله هو من أنشأ الذكرَ والأنثى حقيقةٌ ثابتة، فلو عبَّر بالمضارع؛ لأفاد أنَّ الخلقَ مستمرٌّ فقط، لكن لا يدلُّ بالضرورة على أنَّه أنشأهما أوَّل مرَّة، وفي هذا تلميحٌ مهمٌّ في الرَّدِّ على منكري البعث، فالذي خَلَق أوَّل مرَّة، قادرٌ على أن يُعيد الخلق.

علَّة العدول عن الإتيان بضمير الفصل (هو):

لا يُنازِعُ أحدٌ في أنَّ اللهَ خالِقُ الـخـلْـقِ ذكـرًا وأنثى

لم يُؤتَ في هذه الجُملةِ بضَميرِ الفصْلِ (هو) - كما في اللَّتَينِ قبْلَها - لعدَمِ الدّاعي إلى القَصْرِ هنا؛ إذ لا يُنازِعُ أحدٌ في أنَّ اللهَ خالِقُ الخلْقِ، وأنَّ تصنيفَ الولدِ إلى نوعيه ظاهرًا في اختصاصه، بل وهو في غايةِ التَّعذُّر على من سواه[1] بخلافِ الإحياء والإماتة؛ فقد ادَّعاه بعض الجهلة كالنمروذ، كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: 258][2].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 75.

(2) تفسير ابن عرفة: 4/ 104، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 147.

دلالة التعبير بلفظ ﴿ٱلزَّوۡجَيۡنِ﴾ معرَّفًا:

خـصـوصـيَّـة الخلق الإنساني ذكـرًا وأنـثـى في الاعتبار

عبَّرَ البيانُ الحكيم بلفظِ ﴿ٱلزَّوۡجَيۡنِ﴾ معرَّفًا؛ للإفادة بأنَّ المرادَ بالزَّوجين هما الذَّكر والأنثى من خصوصِ الإنسان؛ لأنَّ سياقَ الكلام للاعتبار ببديع صنعِ الله، وذلك أشدُّ اتِّفاقًا في خلقة الإنسان، ولأنَّ اعتبارَ الناس بما في أحوالِ أنفسهم أقربُ وأمكنُ، ولأنَّ بعضَ الأزواج من الذُّكور والإناث لا يتخلَّق من نطفةٍ، بل من بيض وغيره[1].

دلالة التعبير بلفظَي ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ﴾ معرَّفين والجمع بينهما:

الـجـمـعُ بين جنسي الـذَّكـر والأنـثـى إظـهـارٌ لـلـتَّـكـامـل في الخلق الإنساني

عبَّر البيانُ الإلهي بلفظي: ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ﴾ معرَّفين بالألف واللام؛ لإفادة الاستغراق الجنسي، أي: إنَّ الآية تشيرُ إلى جنسِ الذكر والأنثى عمومًا، لا إلى فردٍ معيَّن، فالمعنى: أنَّ اللهَ خلقَ كلَّ مَن يندرجُ تحتَ نوعِ الذَّكر، وكلَّ من يندرجُ تحتَ نوع الأنثى، وأمّا الجمعُ بينهما؛ ففيه محسِّنُ الطباق؛ لِما بين الذكرِ والأنثى من شبهِ التَّضاد[2]، بما يُفيدُ أنَّ كِلا القُطبَين في الخلقِ الإنساني حاضرٌ ومقصودٌ، فلا يكتملُ النوعُ البشري إلّا بهما، ويفيدُ إبرازَ القدرة الإلهية في اختلاف المخلوقين من أصلٍ واحد.

بلاغة التعبير بالطباق:

امتنانٌ بأنَّ لكلِّ إنسانٍ زوجةً وأنَّ لكليهما حَظًّا في خلقِ الولد بأمر الله

ذكرَ البيان القرآني: ﴿ٱلزَّوۡجَيۡنِ﴾، والبدلَ منه: ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ﴾؛ لأمرين: إدماج الامتنانِ أثناء ذِكرِ الانفرادِ بالخلْقِ، بنعمةِ أنَّه خلَقَ لكلِّ إنسانٍ زوجةً، كما قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ [الروم: 21]، والثّاني: الإشارة إلى أنَّ لكلا الزَّوجَين حظًّا من النُّطفةِ الَّتي منها يُخلَقُ الإنسانُ، فكانتْ للذَّكرِ نُطفةٌ، وللمرأةِ نُطفةٌ، كما ورَدَ في الحديثِ الصَّحيحِ أنَّه

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 145.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 147.

«فَإذا سَبَقَ ماءُ الرَّجُلِ ماءَ المَرأةِ؛ نَزَعَ الوَلَدَ، وإذا سَبَقَ ماءُ المَرْأةِ ماءَ الرَّجُلِ؛ نَزَعَتِ الوَلَدَ»[1]، وبهذا يَظهَرُ أنَّ لكلٍّ مِن الذَّكَرِ والأُنثى نُطفةً، وإنْ كان المُتعارَفُ عندَ الناسِ قبْلَ القُرآنِ أنَّ النُّطفةَ هي ماءُ الرَّجلِ، إلّا أنَّ القرآنَ يُخاطِبُ النّاسَ بما يَفهَمون، ويُشيرُ إلى ما لا يَعلَمون إلى أنْ يَفهَمَه المُتدبِّرون[2]، وقد جاء أسلوب الطباق؛ بيانًا لنعمه بخلق الضدَّين، وتأكيدًا لأحديَّته سبحانه.

معنى ﴿مِن﴾ ودلالتها في قوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾:

بـدايـةُ خـلـقِ الإنسانِ منشؤه من نطفة

﴿مِن﴾ في قولِه تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ ابتدائيَّةٌ؛ فإنَّ خلْقَ الإنسانِ آتٍ، وناشئٌ بواسِطةِ النُّطفةِ، فإذا تكوَّنَتِ النُّطفةُ، وأُمْنِيَتْ؛ ابتدَأَ خلْقُ الإنسانِ[3]، بما يشيرُ إلى عظمةِ القدرة الإلهية بخلقِ هذا الكائنِ العاقل المدرك من مادة حقيرة، ضعيفة، لا شأنَ لها.

الغرض من تنكير: ﴿نُّطْفَةٍ﴾:

من نطفةٍ مهينةٍ إلى خَلقٍ مُبهرٍ تَـبـرزُ الـقـدرةُ الإلهيَّةُ

النُّطْفَةُ: فُعْلَةٌ مشتقَّةٌ من: نَطَفَ الماءُ؛ إذا قطرَ، فالنُّطفةُ ماءٌ قليل، وقد نُكِّرتْ هنا، فلم تُعرَّفْ بلام التعريف (النطفة) أو الإضافة (نطفته)؛ للمبالغة في التَّحقير والتهوين والغموض، أي: إنَّ اللّهَ بدأ خلقَ الإنسان من شيءٍ قليل، صغيرٍ، حقيرٍ، مجهولِ الشأن، وهذا يُبرزُ القدرةَ الإلهيَّة على خلقِ هذا الخلقِ الإنساني العجيب من أهونِ شيء.

معنى ﴿إِذَا﴾ ودلالتها ﴿إِذَا تُمْنَىٰ﴾:

عـنـدَ اخـتـلاطِ المـاءَيـنِ يَبتدِئُ تَخلُّقُ النَّسلِ؛ إذا لـم يَـعُـقْـه عائقٌ

﴿إِذَا﴾ في قوله تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ ظرفيةٌ شرطيةٌ غيرُ جازمة، وهي اسمُ زمان، وقد قيَّد بها البيانُ القرآني، فلم يقل: (من نطفةٍ تُمنى)؛ للإيذانِ بسرعةِ الخلقِ عندَ دَفْقِ النُّطفةِ في

(1) صحيح البخاري، كتاب: مناقب الأنصار، باب: كَيْفَ آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَصْحابِهِ، رقم: (3938).
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 145.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 146.

رَحِم المرأةِ، فإنَّه عندَ التِقاءِ النُّطفتَينِ يَبتدِئُ تخَلُّقُ النَّسلِ، فهذه إشارةٌ خَفيَّةٌ إلى أنَّ البويضةَ - الَّتي هي نُطفةُ المرأةِ - حاصِلةٌ في الرَّحمِ، فإذا أُمنيتْ عليها نطفةُ الذَّكَرِ؛ أخذتْ في التَّخلُّقِ؛ إذا لم يَعُقْها عائقٌ، ولِما في فعلِ ﴿تُمْنَىٰ﴾ مِن الإشارةِ إلى أنَّ النُّطفةَ تُقطَّرُ، وتُصَبُّ على شَيءٍ آخَرَ؛ لأنَّ الصَّبَّ يَقْتضي مَصبوبًا عليه، فيُشيرُ إلى أنَّ التَّخلُّقَ إنَّما يَحصُلُ مِن انصبابِ النُّطفةِ على أُخرى، فعندَ اختلاطِ الماءَينِ يَحصُلُ تَخلُّقُ النَّسلِ[1].

دلالة التَّعبير بالمضارع ﴿تُمْنَىٰ﴾ مبنيًّا للمفعول:

تـركـيـزٌ عـلى الفعل الذي يُبرزُ الـقـدرةَ الإلهيَّة في الخلق

جاء فعلُ الإمناء بصيغة المضارع ﴿تُمْنَىٰ﴾، دون أنْ يُقال: (إذا مَنَتْ)؛ لإفادةِ استحضارِ الحدثِ وتجديده، فإمناءُ النطفةِ يتكرَّرُ باستمرار عبرَ الزمان والناس، ومِن ثَمَّ فإنَّ خلقَ الإنسان عمليةٌ جاريةٌ دائمة، وليستْ شيئًا مضى، وانتهى، وقد بُني الفعل ﴿تُمْنَىٰ﴾ لما لم يسمَّ فاعله؛ للتركيز على الفعل - الذي يُبرزُ القدرةَ الإلهية في الخلق من هذا الشيء الحقير، وتعظيمه - لا الفاعل، وللإشارةِ إلى ضعفِ النطفة، فهي ضعيفةٌ، تُقذَفُ، لا تملكُ الفعلَ، بل يُفعَلُ بها، ولأنَّها تدفعها قوَّةٌ طبيعيةٌ في الجسم خفيةٌ، فكان فاعلُ الإمناء مجهولًا لعدم ظهوره[2].

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 146 - 147.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 146.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والخمسون،
سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 58 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-62-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 58 : المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-62-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4238337 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"